

فقد المشاعر



بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس
الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

<https://anaheedblogger.blogspot.com>

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.
- هذه التفاريغ من عمل الطالبات ولم تطلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله - عزّ وجلّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله.
- والله الموفق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء الأول

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نجتمع حول هذا الموضوع المهم؛ **موضوع فقه المشاعر**، بحيث يكون هذا الفقه سبباً لإدارة هذه المشاعر. نبدأ على بركة الله، نتحدث في هذا الأمر من عدّة وجوه، أول هذه الوجوه: **هو الكلام عن النفس الإنسانية**؛ لكي نرى موقع المشاعر فيها، وعندما نتحدث عن النفس الإنسانية سنتكلم بشيءٍ من الاختصار، ونذكر أنفسنا بمكونات هذه النفس الإنسانية. فنقول: الله -عزّ وجلّ- خلق هذه النفس مقابل هذا البدن، فالروح لما سكنت البدن جاءت هذه النفس.

النفس: هي اسم للروح حال اتصالها بالبدن. نزل المَلَك من السماء بأمر الله، نفخ هذه الروح في هذه المُضْغَة، فدبّت الحياة في هذا الإنسان، وأصبح إنساناً له بدن، وجسد وروح؛ تمتّع بالخصائص الإنسانية؛ ولذلك عندما تسمع في قصة بدء الخلق، وتسمع هذا الخبر في سورة الحجر، وترى متى أمر الله الملائكة

أن تسجد لآدم -عليه السلام-، تجد في الخبر في سورة الحجر: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ).

ومعنى (صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ): حالة من الحالات العجيبة التي مرّ بها الإنسان، الصلصال هو الطين اليابس الذي لم تُصبه النار، وإذا نُقِرَ يُسمَعُ له صوتٌ كالنفخار.

والحمأ: هو الطين الأسود المتغيّر.

والمسنون: يعني المتغير الرائحة، رائحته سيئة.

هذا وصف الإنسان: (صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ). هل ستسجد الملائكة في هذه الحالة؟ ليست في هذه الحالة، إنما تسمع: (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ)⁽¹⁾. لن يقعوا ساجدين وهو من صلصال من حمأ مسنون، وهو جسد، إنما: (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي). الآن حصل له التكريم. إذا نفس هذا الإنسان أتى الملك بها من السماء، وأتى بالروح من السماء، فنُفِخَ في هذه الروح، ومن هنا أتى الشرف.

⁽¹⁾ (الحجر: 28-29).

ما هي مكونات هذه النفس؟ بشيء من الاختصار: هذه النفس بها ثلاثة عناصر:

العنصر الأول: **الفطرة**.

العنصر الثاني: **الطباع**.

العنصر الثالث المهم: **المشاعر**، ونحن سنبحث في هذا العنصر.

ولذلك في قوله تعالى: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا)⁽²⁾؛ قال الشيخ السعدي -رحمه الله- عند هذه الآية: "**فالنفس آية كبيرة من آياته التي حقيقةً بالإقسام بها**"، يعني أن الله أقسم بالنفس لأنها آية.

ما الذي يجعلها آية؟ يقول الشيخ: "**فإنها في غاية اللطف والخفة، سريعة التنقل والتأثر، والانفعالات النفسية؛ من الهم والإرادة والقصد والحب والبغض**". لاحظ أن الحب والبغض من خصائص هذه النفس، المشاعر من خصائصها، وهي التي لولاها لكان البدن مجرد تمثال لا فائدة فيه، وتسويتها على هذا الوجه آية من آيات الله العظيمة.

⁽²⁾ (الشمس: 7).

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا) مِنْ تَسْوِيَةِ النَّفْسِ خَلْقَ الْمَشَاعِرِ فِيهَا.

ويؤكد هذا المعنى حديث النعمان بن بشير -رضي الله عنه- الذي فيه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»⁽³⁾؛ القلب هو مكان الشعور، فمن هنا كان واجباً علينا أن نهتم بهذا الموضوع؛ كون أن المشاعر التي هي في القلب بها يصلح الجسد والإنسان عموماً، وبها يفسد.

ولذا ما معنى قوله تعالى: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)⁽⁴⁾ ما معنى أن يطلب موسى -عليه السلام-: (رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي)⁽⁵⁾؟ ما معنى أن يطلب الإنسان انشراح الصدر؟ أن هذا الصدر هو مكان للانشراح والضيق، ومكان للشعور الدافع للعمل أو للامتناع؛ ولذلك نسمع (الَّذِينَ آمَنُوا) ومن علامات إيمانهم: (وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ^{فَلَا} أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)⁽⁶⁾، تسكن القلوب

⁽³⁾ أخرجه البخاري (52).

⁽⁴⁾ الشرح: 1.

⁽⁵⁾ طه: 25.

⁽⁶⁾ الرعد: 28.

وتطمئن، ضد القلوب التي تضطرب وتقلق. فالقلوب تحمل الشعور، والطمأنينة، والقلق من المشاعر، هذه من الأدلة الواضحة على أن المشاعر من التكوين النفسي.

ومما يؤكد أن المشاعر من التكوين النفسي: أن الله قال في سورة النجم إشارة إلى عظمته وسُلْطانه ومُنْتَهى خلقه: (وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى)⁽⁷⁾. فتصور (أَضْحَكَ وَأَبْكَى)، يعني فرح وسرور يوجبان الضحك، أو همٌّ وحزن يوجبان البكاء، هذا كله دليل على أن المشاعر من مكونات النفس الإنسانية.

انظروا إلى سورة هود من الآية الحادية والسبعين إلى الآية الثالثة والسبعين، انظروا لهذا الموطن وبيّنوا كيف أنه دليل يؤكد على أن المشاعر من التكوين الإنساني؟

(وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ
إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (71) قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ
وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (72) قَالُوا

⁽⁷⁾ (النجم: 43).

أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ^ط رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ
الْبَيْتِ ^ج إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ

نجد أن امرأة إبراهيم -عليه السلام- بشرتها الملائكة
بإسحاق وبشرتها أيضًا أن من وراء إسحاق يعقوب،
يعني أن الله سيرزقهم ابنًا وسيكون من وراء هذا الابن
حفيد أيضًا. هذه البشرى سببت الاستبشار الذي ظهر
بصورة الضحك، وكلمة (فَبَشَّرْنَاهَا) و "بشرى" إنما هي
أتت من البَشَرَة، بشرة الإنسان التي يظهر عليها
السرور. فتصور أن مكونًا رئيسيًا في مشاعر الإنسان
يظهر آثاره على البدن. ثم فلننظر إلى التعجب: (قَالَتْ يَا
وَيْلَتَى آلِ دَاوُدَ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ^ط إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ
عَجِيبٌ)؛ ظهر عليها العجب، استبشرت، وضحكت،
فهذه كلها مشاعر إنسانية، وهذه الآيات تدل على أنها
من المكونات النفسية. من الطبيعي أنك إذا بُشِّرْتَ
تستبشر وتضحك، وإذا جاءك أمر عجيب داخل نفسك
تشعر بالعجب وتعبر عن ذلك.

فإذا الشعور هو مكون رئيس من مكونات النفس
الإنسانية. فكما أن الفطرة السوية مكوّن، والطباع على

اختلافها مكوّن، فالمشاعر الإنسانية مكوّن للنفس الإنسانية، وسنرى نفس هذا الأمر حين نقف أمام سورة القصص الآية الثامنة عشرة، ونرى أن هذه الآية أيضًا تدل على هذا المعنى؛ أن الإنسان من طبيعته التي خُلِقَ عليها، أو من مكوناته؛ **المشاعر**.

(**فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ**)، معنى ذلك أن مشاعر الخوف هي مشاعرٌ موجودةٌ في النفس، خُلِقَ الإنسان بها، فالمشاعر مكون نفسي.

سنرى موقفًا آخرًا لموسى -عليه السلام- في سورة الأعراف: (**وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ**)⁽⁸⁾. عندما ننظر لأول السياق تتصور كيف حدث الموقف، نتج الغضب عن أمرٍ يثير الغضب. فكل هذه الشواهد، وغيرها كثير في القرآن، تدل على أن المشاعر مكوّن نفسيّ من مكونات النفس.

قررنا أن المشاعر مكوّن من مكونات النفس، وهذا يُضاف إلى المكونين الآخرين وهما؛ الفطرة والطباع. وبينهم ترابط وتشابك شديد جدًا. نحن لن ندعي أنه من

⁽⁸⁾ الأعراف: 154.

خلال الدورة سنفك هذا الترابط تمامًا، لكن أحد أهداف
فقه المشاعر: **تصوّر العلاقة الشديدة بين فطرتنا**
وطباعنا ومشاعرنا. لكن هناك غاية أهم من هذا وهو
جواب سؤال: **لماذا هذه المشاعر؟ لماذا هذا المكوّن؟**
ما فائدة هذا المكوّن؟ ما المصلحة من هذا المكوّن؟
فهنا سنستخدم كلمة تعبر باختصار عن أمر عظيم يدل
على حكمة الله.

نقول والله أعلم: إن رأس مال الإنسان الذي به يتقرب
إلى الله، وبه يعيش الحياة، وبه تظهر إنسانيته ويعتلي
عن البهيمية، هو هذا المكوّن خاصة.

المشاعر الإنسانية هي رأس مال الإنسان، ومن
الحكمة الربانية أن يكون التقرب إلى الله، مركّبه
المشاعر، كأن الناس يركبون مشاعرهم ليصلوا إلى
ربهم، وكأن كل خطوة من خطوات الإنسان التي
يخطوها في الحياة متوجّهًا إلى ربه، أو متعاملاً مع
خلقه، أو منفردًا مع نفسه، كل خطوة من هذه الخطوات
لا بد أن تكون على مركّب المشاعر.

بل من أهمية المشاعر إن عقل الإنسان الذي يعقله
عن الخطأ إنما هو مكوّن من مشاعره. وهذه النقطة
ستتضح مع الأمثلة.

عادةً نتصور أن مشاعرنا شيءٌ آخر غير عقلنا،
وربما -لو ناقشنا الموضوع من زاوية أخرى- يكون
كذلك، أي يمكن أن نجد فرقًا من جهة معينة، ولكن في
الحقيقة لا بد أن نتصور أن عقل الإنسان إنما هو متكون
من مشاعره، وسنرى شيئًا من التفصيل.

نبدأ أولاً بتصور معنى كلمة **العقل**؛ فأصل كلمة العقل
عند العرب مأخوذ من الجذر الثلاثي: (العين والقاف
واللام)، وهو يدور حول معنى الربط والتقييد والمنع،
وهو مستعمل عمليًا، مثلما نقول: "عقال"، وفي الحديث:
«كَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ»⁽⁹⁾، أي كأنه كان مربوطًا
فأنشط، أي أطلق وفُكَّ.

عقال: العقال معلوم أنه يُستخدم في ربط يد الناقة
لأجل أن تُحبس عن السير؛ فهذه المادة (ع-ق-ل) تدل
على الحبس، والحبس عن ذميم الأفعال أو ذميم الأقوال.

⁽⁹⁾ () أخرجه أحمد (21835).

تَصَوَّر الآن تكوين هذا العِقال الذي يحبسون به يد الدابة من أجل ألا تتحرك، في الوقت الذي يرون أن الحركة تضرها، ستجده منسوجًا من الصوف أو من شعر البهائم إلى آخره، منسوجًا بحيث يربط يدها فلا تتحرك.

فَتَصَوَّر هذا المعنى بالضبط هنا عندما نتحدث عن عقل الإنسان؛ عقل الإنسان مكون من شعور، نسيج شعوري يمكن أن يكون من خوف، من قلق، من محبة، من رجاء. نسيج شعوري كَوَّن عقل الإنسان.

وهناك أفعال يفعلها الإنسان العاقل نتيجة استجابته لمشاعره؛ مثل إنسان يكون ماشيًا في الطريق ويجد سيارة قادمة نحوه، العاقل سيخاف فيهرب، فالخوف هو مصدر القرار.

أيضًا نقول **مثلاً**: الإنسان يجد نفسه أمام فرصة للخير؛ وهو يحب الخير، فحُبُّه للخير سيدفعه للمشاركة.

إذا لمَّا خاف الخوف الطبيعي هرب، فخوفه كان سبب هربه، وهو التصرُّف الذي يصدر من الإنسان العاقل،

أمّا الإنسان غير العاقل لو رأى شيئاً يخيفه لن يدرك ولن يخاف، ومن ثمّ لن يهرب.

ولكي نأتي قريباً من موضوع العقل واتخاذ القرارات أكثر، نضرب هذا المثال الذي يُقَرَّب المسألة: الآن تصوّر لو أن فتىً له زملاء في المدرسة، وقرروا واجتمعوا أن يفعلوا فعلاً خاطئاً، مثلاً قرروا أن يهربوا من المدرسة في اليوم التالي، وهو الآن يحب والده ويشعر بثقة والده فيه، ويشعر بمكانته في عائلته ويفكر: "أذهب معهم أم لا أذهب؟" فحبُّه لوالده وخوفه على سُمعته وخوفه من غضبه سيعقله وسيربطه عن الخروج معهم.

إذاً نلاحظ أن مشاعره هي المُسبَّب الرئيس لقراره، فالذي عقله عن الخروج وعن المساهمة في الخطأ وعن القبول لهذه المسألة المخالفة لقيمه هو شعوره، أي الذي منعه، كأننا نتحدث عن الدابة عندما تُربط.

وهنا يأتينا أمر مهم: لماذا نتصور أن العقل شيء مختلف، كأن العقل في جهة والعاطفة في جهة؟ لأنه يوجد خطأ أولي، وهو اعتبار العقل جزءاً من الإنسان،

كأن العقل هو الدماغ! والحقيقة أن العقل في القرآن -الذي هو مصدر الحق- ما أتى إلا فعلاً على جميع تصريفاته: (تَعْقِلُونَ)، (عَقْلُوهُ)، (لَا يَعْقِلُونَ)، (وَمَا يَعْقِلُهَا)، (لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ). فالعقل بنفسه عبارة عن فعل يفعله الإنسان، يعقل نفسه ويعقل الأمور، أي حالة من الإدراك وحالة من الإحساس وحالة من الامتناع أو الإقدام والإحجام.

إذاً هذه المشاعر -كما نتصورها الآن وهي مكون إنساني ورأس مال الإنسان- نتصورها مؤثرة تأثيراً عظيماً على إقدام الإنسان أو إحجامه، وعلى قراراته.

الدماغ هو أمر آخر غير العقل، الدماغ بما فيه من مراكز لها أثر على وظائف الجسم وعلى مشاعر الإنسان، مثل مركز الذاكرة، ومركز الرؤية، ومركز الحركة، ومراكز فيها الوظائف التلقائية مثل التنفس ومعدل ضربات القلب إلى آخره، هذه المراكز ليست هي التي تقوم بعمل العقل.

وهنا لا بد أن نفرّق بين أمرين لتكون الأمور مرتبة:

الأمر الأول: أنا عندي: عقل، وعندي شعور، وإحساس. فربما يأتي أحد ويقول: "لا يوجد فرق بين الشعور والإحساس"، نقول هنا -والله أعلم-: إن الإحساس هو الشيء الذي تدركه بالإحساس، مثل: هذا حار، هذا بارد، هذا مزعج. فأنت تُدرك بالإحساس، وتؤثر على الشعور، فإحساسك غير شعورك، إحساسك بالأشياء مختلف عن مشاعرك، الإحساس يأتي من الإدراك، تدرك أن هذا حار، هذا بارد، هذا مزعج، هذا حامض، هذا حلو. فهذا إحساس، وهذه الأحاسيس لها علاقة بمراكز الدماغ، وهذا طبعا يحتاج إلى تخصص أكثر وفهم أكبر.

الأمر الثاني: أن الشعور الذي يكون في القلب وفي الوجدان وفي النفس الإنسانية، الذي تأتي من ورائه القرارات التي تعقل الإنسان وتمنعه، ويندفع الإنسان على أساسها وينفعل ويعقل ويدخل في أمور ويخرج من أمور، إنما هو بالانفعال الحاصل في مشاعره.

فنلخص الآن الكلام، وهي نقطة مهمة جدًا، ولكنها كالإضاءة؛ لأن هذا موضوع فرعي بالنسبة لموضوع

المشاعر التي نحن بصدد الكلام عنها، فنحن نريد أن نفقه مشاعرنا ونستفيد منها، هذا هو الغرض من اللقاءات: **أن نفقه مشاعرنا ونستفيد منها**، وهذا بالنسبة لنا كالمدخل لتفهم نفسك.

فالله -عزَّ وجلَّ- رزقنا نفوسًا سوّاها، وأقسم بالنفس التي سوّاها: **(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا)**⁽¹⁰⁾؛ فقد سوّاها تسويةً عجيبة، نحن نقف أمامها مندهشين ولا نستطيع أن نحيط بها علمًا، ولكن نأخذ بطرفٍ من الوحي، وبطرفٍ من علوم الإنسان التي أتت من التجربة، ومن العلوم المعروفة، ونتحدث فيها على قدر استطاعتنا.

◦ عرفنا أن المشاعر هي رأس المال الذي يجب أن نحافظ عليه.

◦ وأننا نصل إلى الله بها، ومن حكمة الله أن رزقنا إيّاها ليسهل طريقنا إلى ربنا.

◦ تصوّرنا أن هذه المشاعر -من خطورتها وأهميتها- أنها هي العقل الذي نعقل به، فحاولنا

¹⁰ () الشمس: 7.

أن نُصَحِّح مفهوم العقل ابتداءً من كون العقل -كما ورد في الوحي- فعلاً وليس عضواً.

وعندما يأتي أحد ويسأل عن الدماغ، فنقول: "الدماغ بمراكزه وبما فيه من قدرات عظيمة يمكن أن يكون مكان الإحساس". **فهل هناك فرق بين الإحساس والشعور؟** الجواب: نعم، الإحساس هو إدراك الأشياء، أما المشاعر فهي هذه الانفعالات المعروفة من الخوف والرجاء والمحبة وما سيأتي الكلام عنه.

نأتي هنا فنؤكد أن هذه المشاعر -على حسب توجيهها والانفعال معها- تأتي القرارات، ومن هنا يأتي عقلك؛ ولذا انظر إلى موقفٍ دائم التكرار: تجد النساء يذهبن إلى الحرم يُردن الأجر من الله، ولكن تعال وانظر إلى عقولهنّ التي تعقلهنّ عن الخطأ، وانظر كيف أن عقولهنّ إنما هي مشاعرهنّ، يعني انفعال شعوري يعقلهنّ عن الخطأ أو لا يعقلهنّ. فالمرأة التي تشعر بالحياء، بحيائها عقلها سيمنعها من أن تخترق صفوف الرجال، عندما يقترب وقت الصلاة عقلها سيمنعها من أن تكمل الطواف إلى قرب إقامة الصلاة، وتصبح في

الداخل في المطاف وسط الرجال وقد اصطفوا للصلاة.
يعني حيائها هو الذي يمنعها، عقلها الذي يعقلها أن
تخترق صفوف الرجال وأن تستمر في الطواف هو
حيائها الآن. تستحي أن تزاحم الرجال. هذا عقلها الناتج
عن شعورها.

لكن تصور لو أن عقلها حماسي وتريد أن تُسابق،
وشعورها تجاه الانتهاء والانفضاض من العمل أو
شعورها تجاه الوصول أو ضعف الحياء -الله يعيذنا-،
هذه المشاعر تنخفض، وهذه ترتفع فتخترق صفوف
الرجال بكل سهولة! وتفعل مثل هذه الأفعال بكل
سهولة، وبدون أن تشعر بالذنب. لماذا؟ لأن شعورها
تجاه هذا الموضوع ليس بحاضر، فليس هناك شيء
يمنعها.

وهنا تظهر خطورة المشاعر، هنا نتصور أن
المشاعر مؤثرة وفاعلة. كيف يمكن أن تعقلني عن
الخطأ أو تدفعني -والعياذ بالله- إلى الخطأ؟ فبهذا
نتصور أهمية موضوع المشاعر.

يعني تصور لو أنك تريد أن تحسّن قدرتك العقلية في اتخاذ القرار، لا بد أن تؤثر على مشاعرك وتغذيها تغذيةً يشتعل معها حبُّ الخير ويُطفأ معها حبُّ الشر. ومن هنا وجد بعض الناس علاجًا وانتفع من القراءة، هناك أناس يقولون: "إننا تأثرنا بالمقروء جدًا". السبب أنه عندما يقرأ ويقرأ في اتجاه معيّن وبطريقة معيّنة ويحصل إثراء لهذه القراءة أو تحصل مناقشة لهذه القراءة؛ تكون النتيجة: أن تتحرك المشاعر؛ فيتكون العقل الذي يمنع أو يدفع، يمنع أو يسمح. ومن هنا أتت تلاوة القرآن؛ لأن لها أثرها العظيم (لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)⁽¹¹⁾ من كَوْن القرآن يبيّن للإنسان الحقائق، ويؤثر على المشاعر، ويدخل له كثيرًا من القناعات بصور وبمشاهد وبأمثال مضروبة وبشخصيات كأنها تُرسم في خيال الإنسان، بأحداث مضت يعيشها الإنسان من خلال قراءة القرآن.

ننتقل الآن إلى نقطة مهمة وهي: أن الشريعة الغراء أوّلّت المشاعر اهتمامًا، وجعلت الشعور مدار العبادات والطاعات والانفعالات، حتى الانفعالات البدنية.

¹¹ () ق: 37.

نذكر هذا بشيء من الاختصار لكي تُفتح لنا المسألة ونقول: "إننا لو أردنا مثلاً أن نأتي إلى الخشوع في الصلاة، فالخشوع في الصلاة يمنع الحركة في البدن؛ لأنك عندما تعرّف الخشوع في الصلاة، والذي هو: شعور ترى أنه يُوجب سكون الجوارح وقلة الحركة". انظر كيف أن الشعور يؤثر على البدن. فتجد أن الشريعة أولت المشاعر اهتماماً عظيماً، إلى درجة أنه يمكن أن تقول: "إن الشريعة بُنيت على هذه المشاعر". وأسهل أمر نستطيع أن نقرب به هذا المعنى ما نقوله دائماً ونحن نشرح ركائز العبودية، والبعض يسميها "أركان العبودية". وكلمة "ركائز" معروفة عند السلف، فيقولون: "إن العبادة تركز على ثلاث ركائز".

كلمة **ركائز** في لغة العرب تشير إلى الشيء المدفون؛ ولذلك نأخذ في الفقه: أحكام الرّكاز. الرّكاز هو: الكنز المدفون. يعني عندما يجد أحد كنزاً مدفوناً فهناك أحكام شرعية له، فيسمونه: "أحكام الرّكاز". كلمة ركائز تشير إلى هذا المعنى، إلى شيء مدفون داخل الإنسان.

ما هي ركائز العبودية؟ انظر إلى هذه الكلمة، تعني أن العبودية لها أساس. ما أساسها؟ يقول أهل العلم: "المحبة والخوف والرجاء". لاحظ أن المحبة شعور، والخوف شعور، والرجاء شعور؛ ولذلك عندما تسمع قوله تعالى الذي كثيرًا ما يُستشهد به: (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ^ج إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا)⁽¹²⁾ فهم يشيرون في هذه الآية أنها تقول لنا: "إن العبودية مبنية على الحب والخوف والرجاء". كلهم (يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ)، يحبون أن يكونوا هم الأقرب. (وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ)، فهذا الرجاء. (وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ)، وهذا الخوف.

ولذا هذه الآية في سورة الإسراء كثيرًا ما تجد أهل العلم يذكرونها ويشيرون فيها إلى ركائز العبودية؛ لأنها تتضمن وصف العابدين بأنهم من حبّهم لربهم يتنافسون ليقتربوا، يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب، يتنافسون في القرب من المحبة، ويرجون الرحمة ويخافون

¹² (الإسراء: 57).

العذاب. فمعنى هذا أن كل عابدٍ تجمع وتكتمل عبادته
بجمع هذه المقامات:

- يبتغي الوسيلة، إشارةً إلى تقربه إليه بحبه وفعل ما
يحبه.

- يرجو الرحمة.

- يخاف العذاب.

فهو يحب ويخاف ويرجو. وهذا المعنى أيضاً ذكر
أهل العلم أنه موجودٌ في سورة الفاتحة؛ فكل حامدٍ
محبٍّ، وكل معتقِدٌ أن ربه رحمنٌ رحيمٌ فهو راجٍ، وكل
أحد يحمل همَّ لقاء الله يوم الدين ويعلم أن الله مالك يوم
الدين فهو خائفٌ.

فالشاهد هنا أن نعلم أن هذا الدين ركائزه هي؛ الحب،
والخوف، والرجاء -التي هي المشاعر-.

فهذه المشاعر الإنسانية هي الركيزة الرئيسية
الأساسية التي بها تصل إلى رضا رب العالمين. هذا
المركب الذي أعطاك الله إياه؛ ولذلك سيأتينا بعد ذلك أن
هذه المشاعر كأنها كمية واحدة، إذا صرفتها هنا وهنا
لن تجدها، مثل رأس المال، إذا بقيت تبعثر فيه وتضيعه

عندما يمرّ عليك وقت وتحتاجه لن تجده، إذا كنت مسرفاً ستفتقر لا محالة!

الشرية جعلت موضوع المشاعر مهمّاً في العبودية، وفي الأحكام الفقهية. تصوروا كيف أن الأحكام الشرعية راعت المشاعر الإنسانية، ونأتي بأمثلة على ذلك:

- استحباب التعزية لأهل الميّت من أجل تسليّتهم ومواساتهم هو بابٌ عظيم من أبواب الأجر، تصبير أهل الفقيد على فقدّه بابٌ من أبواب الأجر.

- شرع للمُطلّقة الغير المدخول بها نصف المهر. عقد عليها وأعطاه المهر ولم يدخل عليها، أنت تقول: "كيف وهو لم ينتفع منها؟!" لكن الشريعة تقول: "اترك معها نصف المهر؛ تطيباً لخاطرها وجبراً لكسر نفسها".

وهذا واضح في آية سورة البقرة: **(فَنَصِفُ مَا فَرَضْتُمْ)** ⁽¹³⁾. لماذا تعطوها نصف ما فرضتم؟ لأجل أن تجبروا خاطرها لعدم اكتمال هذا المشروع.

انظروا لأمر آخر يقابل هذا:

- كيف أن الشريعة أباحت الهجر في أمور الدنيا فيما دون ثلاثة أيام.

أنت غضبت وحزنت مِمَّن حولك، لو بَقِيَت الشريعة تتعامل معك بأسلوب مثاليّ، وأنت لا تراعي مشاعرك، ستقول لك: "لا بد أن تكلمهم، لا تهجرهم، سيحصل لك كذا وكذا". لكن رب العالمين في شريعته الغراء كما أوصل لنا رسول الله قال لنا: «**لا يحلُّ لمسلمٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاثٍ**» ⁽¹⁴⁾. وقد ذكر الشُّراح عند هذا النص: "لأنَّ البشر لا بد له من غضب وسوء خلق، فسُومِح بتلك المدة"، هذا إشارة إلى أن ثلاثة أيام هي مدة مناسبة لتهدأ بها النفس وتذهب هذه الإثارة الشعورية. الشريعة أباحت لنا هذه المساحة في مشاعرنا.

¹³ () البقرة: 237.

¹⁴ () أخرجه البخاري (6077).

مسألة التتبع هذه تحتاج إلى جهد، ونظر في النصوص، ننظر إلى سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ويأمرهم وينهاهم، ما أتى إلى المسائل التي تحبها الطبيعة الإنسانية وقال: "كونوا رهباناً، ولا تأكلوا ولا تشربوا"، وإنما قال: «كُلُوا واشربوا وتصدقوا في غير مَخِيلَةٍ وَلَا سَرْفٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ»⁽¹⁵⁾. وسيأتينا كيف أن من أسماء الله؛ الودود الذي يحب عباده، ويحبه عباده.

هذه المشاعر هي وسيلتنا للوصول إلى الله، وشريعتنا مبنية على هذه المشاعر، لا تتجاهل حاجتك: حبك للطعام والشراب، للباس، لم تقل الشريعة: "خذ كل مالك وتصدق به" أو "صُم الليل والنهار".

بل تصوروا أننا نصل إلى ربنا بمشاعرنا أحياناً بتصرفات بسيطة، لكن الشعور هو العظيم، مثل الأمر بتوقير الكبير: «لَيْسَ مَنْأَمِنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيُوقِّرْ كَبِيرَنَا»⁽¹⁶⁾؛ مطلوب منك في داخل قلبك أن يكون هناك

¹⁵ () أخرجه النسائي (2559).

¹⁶ () أخرجه أبو داود (4943).

توقير للكبير، ثم تتصرف بالطريقة التي تُظهر هذا
التوقير.

ومثل هذا انظروا الإحسان للجار، إكرام الضيف،
الصدقة على الفقير، تفريج الكربة، نصرّة المظلوم،
المسح على رأس اليتيم، كل هذه الأفعال حجر الأساس
فيها هو مشاعرك.

فالمشاعر هي وسيلتنا للوصول إلى ربنا، مَرَكَب
وهبه الله لنا لنصل إليه.

سيأتينا مزيد من الكلام عن هذه المشاعر ومزيد من
الإشارات إلى ظهورها في شرعنا المبارك.

نرجو من الله أن يحفظ علينا ما أنعم به علينا من هذه
المشاعر وأن تكون قربة إليه، والحمد لله رب العالمين.

السلام عليكم ورحمة الله